

كلمة رئيس الجامعة الأب البروفسور جورج حبيقة

بمناسبة "يوم الأبجدية"

الكسليك في ٢٣ آذار ٢٠١٨

معالي الوزير غطاس خوري،

سعادة النائب نعمة الله إبي نصر،

حضرة الأب البروفسور كرم رزق، النائب العام، الممثل الشخصي لقدس الأبائي نعمة الله الهاشم، الرئيس العام للرهبانية اللبنانية المارونية،

أيها الحضور الكريم،

يطيب لي أن أرحّب بكم فرداً فرداً في حرم جامعة الروح القدس - الكسليك، جامعتكم جميعاً على حدّ سواء؛ دارة الفكر هي، وذاكرة الوطن، ومهدّ التراث المتجدّد أبداً.

ولا يسعني إلا أن أعرب عن فرحي الشديد بالتعاون القائم بين الجامعة ولجنة إحياء "يوم الأبجدية"، بهدف التعبير معاً عن حضارتنا الضاربة جذورها في أعماق التاريخ، والتي، بفضل الحرف الذي أطلقته وصدّرته للعالم، قدّمت للإنسانية مادة الكتابة تُرسّخُ بها وجودها، وتضمن صمودها على الزمن، فتملأ بطون الكتب حكمةً وعلماً وتاريخاً ومعرفة، وتخلّد، وتعيش في الذاكرة، بعد أن حمت ديمومتها من السقوط في النسيان عن طريق حضارة كلامية متنقلة بالتواتر أو بالأحادية. إن الإنجاز العظيم الذي حقّقه أجدادنا الفينيقيون إنما يقوم على تحويل اللفظ الشفوي إلى كلمة مركّبة من رموز لفظية صامته تتحول إلى لفظ مقروء. بهذا الابتكار، أصبحت الكتابة ذاكرةً بشرية. مع هذه النقلة النوعية في التدوين، تحرّرت اللقاءات البشرية من المساحة الجغرافية المشتركة، وبات التواصل عن بعد على متن الكلمة المكتوبة. ولا نغالي البتة إن ذهبنا في القول إلى الجزم بأن الفينيقيين هم من أسسوا العولمة وأسقطوا التقوقع والتشترق في الثقافات الخائقة والأوطان المغلقة والحضارات المعتقّلة ضمن أسوار الخوف والرفض وانقباض الذات. بالحرف والترحال الدائم، أسقطوا المسافات بين البشر وأطلقوا عنصرة التلاقي والتلاحح والتكامل في تآلف الاختلاف.

ليس سراً أن نبوح بأن الفضلَ في إحياء يوم الأجدية، المقرّر بالقانون رقم ٢٠١١/١٨٦ والمعدّل بالقانون رقم ٢٠١٢/٢١٥، يعود لسعادة النائب نعمة الله أبي نصر، رئيس ومؤسس لجنة إحياء يوم الأجدية؛ وقد تميّز هذا الفارس المقدام في السعي الحثيث والعنيد إلى إظهار الحقّ بدون كلل أو مللٍ...

واستلّ نعمة الله أبي نصر من الـ ٣٦٥ يوماً في السنة، يوماً جعله بمثابة محطة تتوقف عندها جميعنا بوعي وتفهم ومقدرة على الاقتناع والإقناع أنّ وطننا ليس صدفةً تاريخية، وأن أجدادنا ليسوا فقط كما يصوّروهم بعض المؤرّخين تجاراً واستغلاليين ينتقلون هنا وهناك بحثاً عن موانئ البيع والاتجار...

إن "يوم الأجدية" يشكّل، بالنسبة لنا، يقظةً نستدرك فيها هوية ثقافية تعبّر بنا من العقل المتوسطي، والعربي إلى العقل الكوني، من غير حواجز، وتركيزاً فينا قومية لبنانية عبثاً تذويبها في أيّة قومية أخرى تُفرغها من كثافتها الأنطولوجية.

وفيما نحن في زمن التحضير للاحتفال بالمئوية الأولى لولادة لبنان الكبير، يلهمنا "يوم الأجدية" بـ "رسولية" لبنان، لنستعيد شيئاً من قيامة الذاكرة، حينئذٍ قد نفهم معنى أن نكون من لبنان الكوني؛

إن "يوم الأجدية"، هو تكريس لإيماننا بلبنان العصي على الحثّ الزمني، الذي يتألق خريفه أبداً من نور العصور العاجزة عن أن تلوي من إرادة تحدّث الأعاصير، إيماناً منها أن لبنان وطنٌ سكبته أحلام الآلهة، صنعته نفْسُ المتقين الزاهدين، وجبَلُهُ التراب والأرز بدم الشهادة وعطر النسك....

إنني أدعوكم في "يوم الأجدية" إلى العبّ من نبوءة لبنان وقد أضحت منهلاً لكلّ شغوف وولهان بعظمة إرثه الثقافي العابر للحدود والقائم في كل مكان....

وإن، على حدّ قول الراحل الكبير سعيد عقل، "تتركت أنطاكية [مع الزمن]، وتبدّت صيدون ودمشق، وتصهنت القدس، إلا ان لبنان [الأجدية] ما انفكّ على الزمن يحتضن [إرثها النيّر] بجرص [...]"، هذا الإرث الذي كوّن لبنان وذاتيته وثرأه العقلي، وحدّه بأنه ما وراء تخوم ونطقٍ وعرقٍ ووحدة، أيّ تاريخ كان".

إن "يوم الأجدية" لا يقتصر على احتفال أو على معرضٍ لوحدة اجتماعية نهنئ من خلالها بعضنا بعضاً بمثل هذه الذكرى، إن "يوم الأجدية" يدعو اللبنانيين بخاصة والمشرقيين بعامة، لاستعادة شيء من هويّةٍ تآكلت وذابت في جنسياتٍ مغايرة، فيكسرُ انسانُ الشرق الجديد في مثل هذا اليوم قممماً حُشِرَت فيه عشيرته، فيتذكرُ أن المرأة الشرقية هي "إيسا" [...] وأن "أفقا"، هيكل الصلاة والمناجاة، هي ملتقى "ندوة الحكماء"، فيتعلّمُ أغنيةَ برتنيس (Parthénis) لابنها فيتاغورس الفيلسوف وعالم الرياضيات والموسيقي والمتصوف في القرن السادس قبل المسيح : "لبنانيّ أنتَ يا بني، لبناني"، ويبيّن الحرية نهنجاً، والتغيير مفهوماً، فيمعن في تعزيز ذاتٍ تمتنع على العاديين من الناس...

هذه مجردُ دعوةٍ لصحوةٍ ويقظةٍ ضميرٍ تثري الحاضر وتستشرف المستقبل.

وقبل الختام أودّ أن أسوق شكري الخالص إلى البروفسورة هدى نعمة، نائبة الرئيس للشؤون الثقافية، التي بعلمها وثقافتها وشغفها واندفاعها ما ضنّت بأي شيء لإنجاح هذا الاحتفال وجعله لائقاً بيوم الأجدية بالتعاون مع أعضاء المكتب التنفيذي في لجنة إحياء "يوم الأجدية". كما وإني أوجه كلاماً امتنانياً إلى الأب الدكتور جوزيف مكرزل مدير المكتبة العامة في الجامعة للدعم الوثائقي الذي قدّمه في هذه المناسبة رفعاً لشأن "يوم الأجدية" بالصورة والمشاهدة، وإلى مكاتب التواصل والصحافة والحدث في الجامعة.

هنيئاً للبنان وللمشرق أجمع أن الحرف خرج من العقل الفينيقي وعشقه للتواصل والتفاهم الاجتماعي وشغفه بالآفاق اللامتناهية وخلع على أقدم مدينة مسكونة بدون انقطاع منذ ما يُنيف على سبعة آلاف سنة، اسم بيلوس أي الكتاب.

وشكراً.